الأكاديمية للدراسات
الإجتماعية والإنسانية

أفق التوقع، وخلق التماثل من اللاتماثل
قراءة في المحايثة والتأويل

The Expectation's Horizon and Creating of Symmetry or Asymmetry Reading In the Neutralization and Interpretation

Dr. Bendine BEKHAOULA
University of Chlef -Algeria-

د. بن الدين بخولة
جامعة الشلف -الجزائر-
trezel@live.fr

ملخص

يحتل مفهوم أفق التوقع, أوأفق الانتظار موقعاً مركزياً في نظرية التلقي, وهو مفهوم جمالي يلعب دوراً مؤثراً في عملية بناء العمل الفني والأدبي, وفي نوعية الاستقبال التي يلقاها ذلك العمل انطلاقاً من فكرة أن المتلقي يقبل على العمل وهو يتوقع أو ينتظر شيئاً ما. والعمل الأدبي غالبا ما يحمل إلى القارئ مجموعة من المعطيات التي تشكل نسقا من الانتظارات والعلامات التي تترسب في العمل الأدبي نتيجة تأثره بالنصوص الأخرى التي تنتمي إلى نفس الجنس الأدبي. مما يخلق لدى جمهوره نمطا معينا من التلقي ويدفعه إلى استحضار تجربته السابقة عن النصوص التي سبق أن قرأها فالقارئ عنده لم يعد طرفا مستهلكا لمعنى النص وقصديه المؤلف وإنما تحول إلى عنصر فاعل إلى عملية إنتاج المعنى. وهذه البنية تتوقع قارئا حقيقيا قادرا على التفاعل مع التأثيرات النصية، ومن هنا فإن القارئ الضمني هو دائم الإنجاز والتحقق ولايمكن تصوره منفصلا عن فعل القراءة.

الكلمات الدالة: أفق التوقع، المتلقي، الاستجابة، التماثل، المبدع، النص، القارئ.

Abstract

The concept of Expectation's Horizon, or, Horizon of Waiting, has a central place to Reception Theory. It is an aesthetic concept that plays an influential role in the process of building artistic and literary work. The reason for assimilation is that the recipient accepts work and expects something. Literary work often carries to the reader a set of data that forms a pattern of expectations and signs that are embedded in literary work as a result of being influenced by other texts which, belonging to the same literary streams creates in his reader a certain pattern of reception and pushes him to recall his previous experience on the texts which he has already read. The reader is no longer a consumer part of the meaning of the text and the intent of the author, however, turns into an actor of the process of producing meaning. Of course, this structure predicts a real reader able to interact with the textual effects. Hence, the implicit reader is in permanent achievement, and, verification; he integrates fully the act of reading.

Keywords: *The concept of Expectation, the Theory of reception, Creative, Text, Reader.*

مقدمة

لقد أدركت الدراسات التي تتعامل مع النص تنظيراً وتطبيقاً أن المبدع يدعو القارئ لتقبل العمل، فالتلقي أضحى عنصراً مهماً في دراسة النص وتأويله، ، وهذا يعني أن النص نصان: نص موجود تقوله لغته، ونص غائب يقوله قارئ منتظر.

ومن أهم الفاعليات التي تتعلق بالقارئ دوره في الكشف عن أمور لم يصرح بها النص مباشرة، وهذا الكشف لا يتم إلا بالتفاعل العميق بين القارئ والنص، فالعمل الأدبي بخصائصه الأسلوبية واندراجه التاريخي ضمن جنس أونوع إنما يتحدد باستقباله وما يتحقق جمالياً بالقراءة، وتلك مهمة المتقبل الذي يذهب إلى النص بذخيرته كما يداهمه النص نفسه بذخيرته، وعبر هذا التفاعل يتم اكتساب العمل الأدبي ملموسية ما نفتقدها في الدراسات التي تقف عند حدود التقبل ولا تتفحصه ، وانطلاقاً من هذه الرؤى التي تمنح القارئ دوراً أساسياً وفاعلاً في عملية القراءة، لم يعد القارئ مرسلاً إليه فقط، وإنما أصبح متلقياً قادراً على الدخول أو العبور إلى النص أو الاندماج فيه. وقد تطورت النظرة إلى القارئ عبر الدراسات التي قامت حول الأسلوبية والألسنية والشعرية ونقد استجابة القارئ ونظرية التلقي أو الاستقبال.

فعل القراءة و جمالية التلقي

القراءة فعل يستمد مفهومه في الأبحاث المعاصرة من عملية تهجية الحروف والاستهلاك المحدود إلى عملية المساوقة والمشاركة في الإبداع والتصريف. وهي على كل حال عملية معقدة تقوم على مجموعة من والاشتغالات النفسية والثقافية والاجتماعية والجمالية وغيرها. ولذلك فقد نظر إليها وإلى حركيتها من زوايا مختلفة، فكانت هناك أبحاث في سيكلوجية القراءة وفي سوسيولوجية القراءة وفي جمالية التلقي وما إلى ذلك. فاعتبرت القراءة بمثابة نشاط نفسي أو استجابة داخلية، واعتبرت بمثابة ظاهرة اجتماعية وتاريخية. وبما أن الإلمام بكل هذه المجالات والجوانب صعب في مثل هذا المقام، سنقتصر على الإشارة إلى بعض الأفكار والنظريات المعاصرة التي تحاول فهم "فعل القراءة" في حد ذاته وإبراز مؤداه التواصلي والإنتاجي، قصد فتح باب التحاور والتعامل مع مستجدات التلقي في النقد الأدبي المعاصر ومحاولة استشراف مفاهيمه ومستنداته.

إن الشيء المركزي في كل عمل أدبي هو التفاعل بين بنيته ومتلقيه وهذا ما جعل النظرية الجمالية للفن تولي اهتماما لقراءة العمل الفني، التي لا يجب أن تعنى بالنص الفعلي فحسب،[1] وإنما تعنى بالأفعال المتعلقة باستجابة قارئ نموذجي يمكن أن يقدم معان تأويلية للنص حسب كفاءته [2]كما مثلت العلاقة بين النص والقراءة موضوعا للدرس والنظر على اختلاف مستوياتهما، فمن خلال هذه العلاقة نشأت الدروس الدينية والأحكام الشرعية، والقضائية، ومنها أيضا نشأت المعاني البلاغية والقواعد النحوية. وقد سارت الدوائر المعرفية المختلفة تبحث في جوانب النص، والآليات المختلفة التي من خلالها تحقق ما يطمح إليه في تعاطيها مع النص.

وهنا يرد سؤال عن المعنى أين يكمن، فإذا كان القرَّاء يتفاضلون باكتشاف المعنى، واستنباط الدلالات، والنص لا يقول كل شيء مرة واحدة لقارئ واحد، فأين يكمن المعنى؟ في الجواب على هذا السؤال لا يمكن أن نغفل النص من تحمله للمكونات الأساسية للمعنى، والدلالة، فهو يحمل في طياته، من خلال الأدوات التي تشكل منها الإشارات المختلفة للمعاني التي تدل عليها تلك الإشارات، وهو الذي يحيل إليها، فالأساس هوالنص بطريقة تكوينه، وبالمعطيات الموضوعية فيه، التي تمكن القارئ من تلقف هذه الإشارات وشحنها بالدلالة الكاملة، وهو ما عناه **امبيرتو إيكو** حين اعتبر أن إحدى سمات النص أنه «آلة كسول تقتضي من القارئ تعاونا حثيثا لملء فضاءات المسكوت عنه»، فالمعنى كما توجد أدواته في النص يوجد أيضا في القارئ، والقارئ الذي لا يملك المعنى في داخله لا يمكن أن يكتشف المعطيات التي تعبر عن المعنى العميق، ولا يمكن أن يفك الشفرات التي يتحملها النص في إحالته إلى تلك المعاني، ومن هنا فإن وجود القارئ العميق الممتلئ بالمعاني لا يقل أهمية عن الأدوات التي يتكون منها النص وتحيل إلى المعاني المختلفة.

القارئ من التلقي إلى المساءلة

إن القارئ الفعال، والنشط، يستطيع أن يظهر المعادل الجمالي للنص بواسطة إقامة علاقة مع النص، وبواسطة استنطاقه، مستعملا في ذلك مجموعة من الأدوات المفاهيمية التي تمنح القراءة، وتمكن من ثمة إلى النظر إلى النص ،ورؤيته من الداخل.

إن ما يقوله النص، نوع من البحث في أسلبته، وإظهار للمخفي فيه... وهذا يجعل لنا القدرة- كما تقول الدكتورة يمنى عيد- على الانتقال من التلقي إلى المساءلة، ومن التقليد إلى التملك[3] حين يتشكل النص الأدبي ويفرض سلطته التداولية على جمهور المتلقين، يمسي ذا قيمة اعتبارية تجعله تعاليا نصيا إلى هذا الحد أو ذاك [4]بحسب درجة تلك القيمة سواء لدى القارئ السيميائي، أو لدى القارئ العادي . وهذا ما يخول له فرض سلطته على النصوص اللاحقة كي تتناص معه بشكل مباشر أو غير مباشر، وبصورة واعية أو غير واعية. فكيف نقاربه ونؤول دلالاته؟ وكيف نصل إلى بؤرته التي يحيط بها عدد هائل من التعابير اللغوية المواربة ؟ وما السبل التي يمكن نهجها لتأويل دلالاته؟

إنَّ علاقة القراءة بالكتابة علاقة يقظة بسهو. فما تسهو عنه الكتابة، وتتركه فارغا أبيض، هو ما تحاول القراءة استرجاعه وتثبيته وملأه. إنها بهذا المعنى هي الذاكرة اليقظة خلف الكتابة البلهاء [5]ولكن ألا توجد للقراءة ذاكرة بلهاء هي الأخرى؟ فعملية التحصيل اللغوي ترتبط بشحن القارئ بمعارف يحصل عليها من خلال تفاعله مع النص وتتباين هذه المعارف بتباين المرجعيات والمنطلقات اللغوية التي ينطلق منها

القارئ في قراءاته، إذ نجد النص يزود قارئه بمعارف شتى، منها ما هو مرتبط بالجانب التركيبي للغة أوبالجوانب الدلالية المختلفة المرتبطة ببناء النص، وكذا بالدوافع الكامنة وراء إنتاجه، والخلفيات التي يعتمد عليها المؤلف قصد بلورة موقفه، ومنها ما له علاقة بالجوانب التداولية للنص. ولهذا يفترض في المتلقي أن يكون موسوعة ليتمكن من فهم مكامن النص، حتى يستطيع ملء الفجوات التي تعتريه. وقد تمكن الموسوعة القارئ النموذجي من القيام بدور الاستحضار والاستجماع للمعنى، والتفاعل مع المقروء، والقيام بعملية النفي والإثبات لما يقرأ، أي يقوم بكل ما يتعلق بدور القارئ أثناء القراءة [6] ومن هنا يبدأ القارئ الموسوعي في تكوين تصور عام حول طبيعة النص، ويمكن تسمية ذلك بالمحاولات الأولى لفهم النص؛ إذ يقتضي منه ذلك تفكيك النص إلى أجزائه البسيطة، وتركيز اهتمامه على التسلسل الزمني للأفعال داخل النص، لتحديد فحواه العميق، وكذا تحديد العناصر المتباينة فيه، بحسب أهميتها داخل مستواه الداخلي، وعليه يمكن القول، إن هذه المرحلة تشكل خطوة مهمة داخل السنن اللغوي، إذ يسعى المتلقي من وراءها إلى الاستئناس بالنص، وفي الوقت نفسه تشكل عنده ركيزة أساس يعتمد عليها في تأويله للنص.

التفاعل بين النص ومتلقيه

إن الشيء المركزي في كل عمل أدبي هو التفاعل بين بنيته ومتلقيه وهذا ما جعل النظرية الجمالية للفن تولي اهتماما لقراءة العمل الفني، التي لا يجب أن تعنى بالنص الفعلي فحسب،[7] وإنما تعنى بالأفعال المتعلقة باستجابة قارئ نموذجي يمكن أن يقدم معان تأويلية للنص حسب كفاءته[8]

فجمالية التلقي وهي تؤسس للعلاقة التفاعلية بين القارئ والنص، تروم خلق حوار سرمدي ومستمر بين النص وقرائه المتعاقبين عليه. وبذلك تنتقد النظرة التاريخية التقليدية التي تبتر العلاقة بين التجربة الماضية والمؤلفات الحاضرة. وهكذا تحرص جمالية التلقي من خلال مقولة التفاعل (Interaction) التي تستند إليها، على تذويب المسافة بين توجهات الأفق الماضي وتشكلات الأفق الحاضر من خلال العثور على حلول للأسئلة والإشكالات التي ظلت عالقة بالعمل الأدبي القديم. الشيء الذي يجعل من تلقي النص «كينونة ووجوداً متجددين، إذ يتلقى في سياقات مختلفة وأزمنة متنوعة ومن قبل متلقين متعددين. وإلحاحها على التلقي جعل النص يتأسس على أنطولوجيتين: أنطولوجية التناص بما يقتضيه من هدم وبناء وإعادة بناء لنصوص سابقة ومعاصرة؛ وأنطولوجية التلقي بما تقتضيه من قراءات بحسب الأمكنة واللحظات وأنواع القراء»[9]

إن «جمالية التلقي تجهر بعقيدتها الهيرمينوطيقية وتتموقع في حقل علوم المعنى، لكن عودتها إلى التأويل لا تفيد إلغاء مكاسب المقاربة البنوية أو التفرغ من جديد لذلك المثل الأعلى المتمثل في التفسير المحايث، حيث يكفي أن ينمحي الكاتب ليدرك موضوعية مزعومة. إن التأويل من منظور جمالية التلقي يتطلب بالأحرى أن يسيطر الباحث على مقاربته الذاتية باعترافه بالأفق المحدود لوضعيته التاريخية» [10] فالأمر هنا يتعلق بتحول الهيرمينوطيقا من بؤرة المؤلف والتفسير المحايث (الموضوعية) إلى القارئ وطريقة فهمه (الإقرار بتعدد التأويلات).

يرتكز التلقي علي القارئ والقراءة لايعني سوي المجال التطبيقي الأنسب للكشف عن الأسس الفلسفية وتقريبها للإفهام حول الكيفية التي يحدث بها التلقي ؛ ولذلك فإن هذه النظرية " تختلف عن كل النظريات التي اهتمت بالقراءة وبالقارئ , كالدراسات المبكرة لـ (**فرجينيا وولف**) عن (القارئ العادي), ودراسات الاتجاه المعروف في (الولايات المتحدة) بـ (نقد استجابة القارئ) , والدراسات السوسيولوجية لـ (**جورج لوكاش**) و(**روبرت اسكاريب**), وكذلك دراسات الاتجاه البنيوي الذي اهتم بعملية القراءة (**بارت**, **تودورف** , **جوناثان كوللر**), ودراسات الاتجاه السيميولوجي (**امبرتو ايكو**)"[11]. فموضوع جمالية التلقي هو اشتغال النصوص المخيلة، أي النصوص الأدبية. فما دام النص الأدبي لا يستطيع أن يعمل -كما يقول إيزر- قبل أن يقرأ فمن المستحيل وصف أثره دون تحليل عملية القراءة" [12] فمهمة المحلل هي وصف العملية التحويلية التي تجري حال لقاء النص، كخطاطة لإمكانيات كامنة، بالقارئ مزودا هو الآخر بكفاءته ومرجعياته الخاصة. ففي هذا اللقاء بين طرفي العملية "يصدر عن النص تأثير لا يمكن أن يدرس، لا من خلال النص وحده ولا من سلوك القارئ وحده. فالنص فعل كامن تحينه أو تحققه عملية القراءة في كل لحظة" (نفسه).

وبعبارة أخرى فإن "النصوص تمثل، على اختلاف أنماطها طرفا (أو قطبا) واحدا من أطراف العلاقة التي تنعقد أثناء عملية التواصل. فالذخائر (المعطيات) والاستراتيجيات تكتفي من النص برسم خطوطه العامة وإقامة هيكل قواه الكامنة. والقارئ هو وحده الذي يستطيع تحقيق كوامن النص وتحيينها في وقائع، ولذلك فإن بنية النص وعملية القراءة يتكاملان في تحقيق التواصل؛ يتحقق التواصل عندما يرتبط النص بوعي القارئ".[12]

وعليه ، فمواجهة مشاكل نظرية مع النص، لا تتأتى، إلا من خلال نافذة القراءة باعتبارها نشاطا ذهنيا وإبداعيا يقوم به القارئ الذي يحول النص من نطاق الكمون إلى نطاق التحقق. يقول ج سارتر: " إن الفعل الإبداعي لحظة غير مكتملة في العمل الأدبي، لأن عملية الكتابة تفترض عملية القراءة كتلازم جدلي، وهذان الفعلان المرتبطان هما: المؤلف والقارئ [13] وهذا معناه أن الكتابة والقراءة وجهان لعملة واحدة ، أو فعلان متلازمان: فليس هناك من معطى لفصل أحدهما عن الآخر، فالأثر لا يخرج للوجود إلا موصولا بعملية القراءة مادام النص نداء وما على القراءة إلا أن تلبي هذا النداء"[14] والأدهى من ذلك، فان التعاقب التاريخي لقراءات للعمل الأدبي الواحد تولد إنتاجية نصية ، بفعل اندماج أفق النص بآفاق القراء، فيتم تجاوز منطوق النص إلى المسكوت عنه أو اللامقول

باعتباره خزانا أو منجما ولودا من الدلالات. ومن ثم، يتمثل دور القارئ في تنشيط الحوار الخلاق مع النص من أجل تطوير فن القراءة وفن الكتابة معا. والقارئ الإيجابي ،أو القارئ الفعَّال، مشروط طبعا بشروط ثقافية ومعرفية تسمح له بتحريك آليات النص وتجاوز إكراهاته ولذلك يقول(**أمبرطو إيكو** U. Eco) مثلا: " أنا بحاجة إلى قارئ يكون قد مرَّ بنفس التجارب التي مررت بها في القراءة تقريبا."[15]. وهذا معناه أن الكاتب والقارئ شريكان أساسيان واعيان بآليات مهنة صناعة الإبداع، ومنهجية النفاذ إلى عوالمه الداخلية. فإذا كان الكاتب قد شكَّل أو كوَّن النص، فان القارئ هوالذي يؤوله، ويمنحه معنى بوصفه حصيلة اندماج ظرفي بين النص والقارئ في لحظة تاريخية ونفسية محددة: فالمعول عليه – من منظور الجاحظ- في استقبال النص هو استحسان السامع (الاستجابة) ، أوالانصراف عنه (التخييب) ، وعلى الأديب أن يحرص على إرضاء ذوق الجمهور إذا أراد أن يكون أديبا أصيلا. فالقراءة، إذن، تنشيط لإنتاجية النص، وقدح لزناده الإبداعي، وتحقيق لتداوليته من خلال انخراط القارئ في فعل القراءة ، وملامسته لمستويات النص اللغوية والأسلوبية وتجاوز اكراهاته البنائية، وفك سننه ومعرفة سياقاته.[16] وفي هذا السياق، يمكن أن نشير إلى موقف علم الاجتماع الأدبي الذي اهتمَّ بالجمهور القارئ في علاقته بالكاتب، أو الكتاب، انطلاقا من منهج تجريبي إحصائي، يحاول تسليط الأضواء على "إنتاج الأدب أي الكتاب وموقعهم التاريخي(السير، الأجيال.) ، والاجتماعي(الانتماء الجغرافي، والطبقي، والوضع الاقتصادي لممتهن الأدب.) ، توزيعه(أي طبعه، وتسويقه، وتطور صناعة الكتب.) ،واستهلاكه(أي قراءته ورواجه." [17]

ومن ثمة فكل قارئ يتناول العمل الأدبي من منطلقات خاصة، وهذا ما يجعل من القراءة فعلا مختلفا ونشاطا متجددا بتجدد القراء، بل بتجدد القارئ نفسه، وهذا يعني أيضا "أن القراءة هي، في حقيقتها، نشاط فكري/لغوي مولد للتباين، منتج للاختلاف، فهي تتباين، بطبيعتها، عما تريد بيانه، وتختلف، بذاتها، عما تريد قراءته. وشرطها، بل علة وجودها وتحققها أن تكون كذلك، أي مختلفة عما تريد أن تقرأ فيه، لكن فاعلة في الوقت نفسه ومنتجة باختلافها، ولاختلافها بالذات"[18] ، وفي هذا دحض للقراءات التي تسعى إلى تقزيم النص.

من هنا نفهم أنه لا مجال للقراءة الواحدة الوحيدة، كما أنه لا فائدة من البحث عن قراءة تتغيأ الكشف عما أراد أن يخبئه الكاتب بين السطور. بل الهدف هو التركيز على لحظة معينة تمارس فيها عملية القراءة، وهذه اللحظة نفسها تختلف أيضا باختلاف القراءة السابقة عنها، بل قد تختلف حتما عن القراءة اللاحقة، وهذا يعني التأكيد على عملية التلقي "والمقصود بالتلقي هنا هو تلقي الأدب، أي العملية المقابلة لإبداعه أوإنشائه أوكتابته وعندئذ قد يختلط مفهوم التلقي ومفهوم الفاعلية التي يحدثها العمل، وإن كان الفرق بينهما كبيرا، حيث يرتبط التلقي بالقارئ، والفاعلية بالعمل نفسه، ومن ثمة يختلف تاريخ التلقي عن تاريخ الفاعلية"[19]

إن الشيء الأساس في قراءة عمل أدبي ما هو التفاعل بين بنيته ومتلقيه وهذا يعني "أن للعمل الأدبي قطبين، قد نسميهما "القطب الفني والقطب الجمالي" الأول هو نص المؤلف والثاني هو التحقق الذي ينجزه القارئ، وفي ضوء هذا التقاطب يتضح أن العمل ذاته لا يمكن أن يكون مطابقا لا للنص ولا لتحققه بل لا بد أن يكون واقعا في مكان ما بينهما"(19) وفي هذا إشارة واضحة إلى تركيز إيزر Iser على عملية القراءة كفعل أساس في تحقق العمل الأدبي، ولكن ليس أي قراءة، فهي قراءة من نوع خاص تسير في اتجاهين متبادلين، من النص إلى القارئ، ومن القارئ إلى النص؛ وفي هذا إقصاء لأنواع القراءة الأخرى التي تعرف مسارا واحدا ينطلق من النص ويقف عند حدود القارئ ولا يتجاوزها.

من الانطباع الى الاستنطاف

إن القراءة هنا لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال دخول القارئ في علاقة بالمقروء. وهنا يظهر تأثر نظرية التلقي بالفلسفة الظواهرية التي كانت بمثابة رد فعل ضد الفلسفة العقلية التي تنشد الحقيقة المطلقة وفي هذا إشارة واضحة إلى تركيز الفلسفة الظواهرية على النسبية في تعاملها مع الأشياء؛ ومنها النص الأدبي الذي يأبى كل قراءة تدعي الاكتمال. "فالعمل الأدبي ليس له وجود إلا عندما يتحقق؛ وهو لا يتحقق إلا من خلال القارئ، ومن ثمة تكون عملية القراءة هي تشكيل جديد لواقع مشكل من قبل هو العمل الأدبي نفسه. وهذا الواقع المشكل في النص الأدبي لا وجود له في الواقع، حيث إنه صنعة خيالية أولا وأخيرا؛ وذلك على الرغم من العلاقة الوثيقة بينه وبين الواقع. وعندئذ تنصب عملية القراءة على كيفية معالجة هذا التشكيل المحول إلى الواقع، وتتحرك على مستويات مختلفة من الواقع: واقع الحياة، وواقع النص، وواقع القارئ ثم أخيرا واقع جديد لا يتكون إلا من خلال التلاحم الشديد بين النص والقارئ"[20] فعملية القراءة كأداء معرفي تعتبر عملية متكاملة تمر بمجموعة مستويات تبدأ بالاكتشاف أوالتحري الأول وأحياناُ يسمى الإنطباع الأول ، ثم مرحلة الإستنطاق التي تعمل على تحليل البنى الداخلية وتفكيكها لتمهد للقراءة التأويلية في إعادة تشكيل الوحدات المعرفية إلى منتج نهائي يصف سلوك ودوافع النص المكتوب ، وإلى هذا التعريف يمكننا القول أن القراءة تتبع تسلسل منطقي في التعامل مع المنجز المكتوب ، تعاملاً مثالياً لا عشوائياً في أستدراج النص إلى مناطق أكثر إشراقاً ، أو بعبارة أخرى تعمل القراءة مع النص المكتوب عملاً تنقيبياً من حيث قصدية واضحة إذ لا نص بدون غاية أو دافع معين ، وتحديد هذه القصدية في تشكيل الرؤية الأولى لعملية القراءة التي تمثل عملية تدوينية تتضمن الاكتشاف والتأويل معاً، وهنا علينا التمييز بين القراءة النمطية التي تمثل صيرورة متكاملة والقراءة غير الكاملة التي تقتصر على مرحلة الاكتشاف فقط والتي تسمى أحياناً باللاّقراءة لعدم طرحها مفهوم محدد عن هوية النص المكتوب ، وبهذا الفهم

لعملية القراءة نكتشف أن القراءة من حيث هي أداء معرفي أو نشاط ذهني مسلّط بقصدية لتقصّي مساحات نص مكتوب ، هذا التقصي محكوم بآليات وعي متوازنة وبنويات تخطيطية واضحة ترسم ملامح الغايات المرجوة من وراء القراءة، هي عملية اكتشاف واستنطاق ، تحليل وتفكيك، تأويل وتدوين، أو بعبارة أخرى هي دورة معرفية متكاملة تمثل مجموعة صيرورات واستحالتها لتؤدي إلى إنتاج نص جديد يمكن تسميته بنص القراءة .

ولما كانت القراءة ممارسة لاحقة على النص، فإن القراء المحققين لفعل القراءة ومن خلاله لوجود النص و كينونته مختلفون و متعددون بتعدد انتماءاتهم الإيديولوجية و الاجتماعية و الجغرافية و اختلاف مشاربهم الجمالية و التجربة القرائية. و في وسعنا أن نتحدث في هذا السياق عن أنماط من القراء تختلف تسمياتهم من هذا الناقد إلى ذاك، لكنهم يتفقون تقريبا في نفس الدلالات و المضامين، و من هؤلاء القراء :

القارئ الفعلي، وهو الذات الفردية المادية القارئة التي اقتنت الكتاب و مارست فعل القراءة، و هو القارئ الذي اهتمت به الدراسات و الأبحاث التي تندرج ضمن "سوسيولوجيا القراءة"

القارئ النصي هو القارئ الذي يركز اهتمامه على البنى الأسلوبية و الدلالية للنص، ولا يلتفت كثيرا إلى السياقات الخارجية . وقد تستوقفه في هذا النص أو ذاك سمة جمالية إيقاعية أو صرفية أو تركيبية...

القارئ الافتراضي وهو القارئ الذي يضمره الكاتب، حيث يصوغ في النص صورة عنه وصورة عن نفسه، إنه يصنعه كما يصنع صورته الثانية. والقارئ المثالي هو المتسلح بكل الأدوات المعرفية و المنهجية التي تمكنه من فك شفرات النص، إنه القارئ الذي يزاوج بين المعرفة الواسعة و القدرة على التذوق والخبرة الطويلة في القراءة.

القارئ النموذجي وقد صاغه **أمبرطو إيكو** لوصف القارئ الذي يحتاج المؤلف إلى تخيل ردود أفعاله التأويلية عند كتابة النص. و هي ردود أفعال يحتاج إليها المؤلف من أجل الإيصال، إن قارئ يماثل الكاتب و يفترض فيه أن يجتاز نفس المراحل و التجارب القرائية التي عاشها الكاتب.إن القارئ يبحث في النص عن وعاء يستوعب تجربته، تجربته بالمفرد والجمع ،" الأنا" في تفردها، و" النحن" باعتبارها امتدادات الموسوعة وإكراهات قواعد الفن والجمال. فلا قيمة للقراءة إذا كانت رصدا محايدا وباردا لمعطيات موجودة في استقلال عمن يتلقاها، أي في استقلال عن الذات التي تبني من خلال المتحقق مخيالا جديدا يضاف إلى كل مخيالات اللغة والثقافة. وإذا لم يحدث الحوار والتفاعل بين القارئ والنص افتقد القارئ شخصيته، وغدا تابعاً، وأصبحت دراسته انفعالية بالنص، وهي أقرب إلى التهويمات العشقية في فضاء النص، فيسيطر النص بصورة شاملة، ويغدو القارئ عاجزاً لا يستطيع التخلّص من سلطان النص وهيبته والقارئ الضمني عند أيزر لا وجود له بل يمثل تجسيداً لتوجهات النص الداخلية أي أن النص هو الذي يخلقه النص ومن ثمة يتحول إلى مفهوم إجرائي ينم عن تحول التلقي إلى بنية نصية نتيجة للعلاقة الحوارية بين النص والمتلقي ويعبر عن الاستجابات الفنية التي يتطلبها فعل التلقي في النص لكي يعاد تشكيل المعنى عن طريق التأويل في كل قراءة بهدف سد الفجوات التي يكتشفها القارئ أثناء محاورة بنى النص ، فتتحول القراءة إلى عملية إبداع إذ كل قارئ يعدل في وجهة قارئ سابق له تاريخيا وهذا بالنظر إلى المستجدات الحاصلة لذلك فإنه يرى ان القراءة هي عملية جدلية تبادلية مستمرة ذات اتجاهين : من القارئ إلى النص ومن النص إلى القارئ فالنص يمثل نزهة يقوم فيها المؤلف بوضع الكلمات ليأتي القراء بالمعنى وبذلك تتحول القراءة إلى نشاط ذاتي ينتج عنه المعنى عن طريق الفهم والإدراك وعليه فلا معنى نهائي للنص لأنه يتضمن العديد من الفجوات التي على القارئ ملأها عن طريق بناء التفاعل بين بنى النص وبنى الإدراك إذ أن والفهم لا يستقيم إلا بإلغاء المرجعيات الخارجية والمعرفة السابقة التاريخية في محاولة لإعادة التوافق والانسجام للنص.

خاتمة

و في الأخير نقول إنَّ البحث عن المعنى داخل النص أبسط ما يوصف به أنه عملية تنقيب عن المعنى داخل الطبقات اللغوية والمنطقية والمعرفية المؤسسة والحاجبة للنص . عملية الحفر هذه تفترض أن العمق ليس أحادي الاتجاه بل العمق هوالامتدادات المتعامدة للنص داخل طبقاته المتمازجة لتخليق المعنى، ولابد للوصول إلى العمق الكاشف عن المعنى من امتلاك الجهاز الأداتي المطلوب لتحقيق معياريات الحفر ومن امتلاك القدرة على توظيفيه بالقوة وبالفعل.

- القراءة عملية معقدة تقوم على مجموعة من والاشتغالات النفسية والثقافية والاجتماعية والجمالية وغيرها
- النظرية الجمالية للفن تولي اهتماما لقراءة العمل الفني
- الكتابة والقراءة وجهان لعملة واحدة ، أو فعلان متلازمان
- تضح من خلال المفاهيم والفرضيّات التي اعتمدها إيزر في نظريّة التّلقيّ، أنّه يشدّد على أهميّة التّلقيّ في تحديد الموضوع الجماليّ،
- لم يعد دور المتلقي في «جمالية التلقي» دورا سلبيا في علاقته بالنصّ، بل أصبح مشاركا في صنع جمالياته.

الهوامش والاحالات

1- سوزان روبين سليمان، "القارئ في النص مقالات في الجمهور والتأويل"، تر حسن ناظم دار الكتاب الجديد، ط 1، 2007، ص: 129

2- Etiwqbeth Frendm the return of the reader Methuen and co.LTd. Londonm 1987. P. 97

3- يمنى العيد، الراوي: الموقع والشكل، دراسة في السرد الروائي، مؤسسة الأبحاث العربية، ش.م.م، بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص:18

4- ايمانويل فريس وبرنارموراليس: آفاق جديدة في نظرية الأدب ترجمة د. لطيف زيتوني. سلسلة عالم المعرفة ع 300 سنة 2004 ص 146.

5- عبد الرحمان بوعلي: نظريات القراءة (ترجمة) دار الجسور / وجدة 1995 ص 77 وما بعدها.

6- in the simiotics Hmberto. ECO, « The role of the reader, Exploration,Hut chinson, London, 1987, P

7- سوزان روبين سليمان، "القارئ في النص مقالات في الجمهور والتأويل"، تر حسن ناظم دار الكتاب الجديد، ط 1، 2007، ص: 29

8- Etiwqbeth Frendm the return of the reader Methuen and co.LTd. Londonm 1987. P. 97 P: 4-46

9- أحمد بوحسن: نظرية التلقي والنقد الأدبي العربي الحديث، مجلة نظرية التلقي: إشكالات وتطبيقات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1993، ص7-8.

10- د. رشيد بنحدو: مدخل إلى جمالية التلقي، مجلة آفاق، عدد 6، 1987 دار النشر المغربية ص16

11- ناظم عودة خضر , الأصول المعرفية لنظرية التلقي , الطبعة الأولي , الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع , 1997م , ص123

12- مقدمة الطبعة الألمانية لكتاب: فعل القراءة (ضمن الترجمة الفرنسية L'acte de lecture). لا نريد أن نخوض في الانتقادات والتحفظات التي أثارها تفريق أقطاب جمالية التلقي خاصة ياوس بين الأثر والتلقي ونكتفي بالإحالة على الأمثلة الكثيرة التي أوردها كونتر جريم فيما ترجمه عنه أحمد المأمون بعنوان: "التأثير المصطلح والموضوع" في مجلة دراسات

12- L'Acte de lecture, p.197

13- د رشيد بنحدو العلاقة بين القارئ و النص في التفكير الأدبي المعاصر عالم الفكر المجلد الكويت، ص 474، س 1994 1 -2 ع

14- سارتر ما الأدب؟ ترجمة وتقديم وتعليق محمد غنيمي هلال دار العودة بيروت د ط ص -50

15- U. Eco: Lector in Fabula.ED BERNARD GRASSET Paris 1985, P: 1

16- الجاحظ البيان و التبيين تحقيق عبد السلام هارون لجنة التأليف و الترجمة و النشر (1/203 دط)1948

17- Michael Riffaterre: Essais de stylistique structurale, Paris 1971, P: 46

18- علي حرب: قراءة ما لم يقرأ: نقد القراءة، ضمن مجلة الفكر العربي المعاصر، ع6، س1989. ص41-52. انظر تحديدا ص42

19- هانس روبرت ياوس، نظرية التلقي، ترجمة عز الدين إسماعيل، النادي الثقافي بجدة، الطبعة الأولى، ص، 7

فولفغانغ إيزر، فعل القراءة، نظرية جمالية التجاوب (الأدب)، ترجمة حميد الحميداني، الجلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل، ص، 12

19- فولفغانغ إيزر، فعل القراءة، نظرية جمالية التجاوب (الأدب)، ترجمة حميد الحميداني، الجلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل، ص، 12

20- نبيلة إبراهيم، القارئ في النص: نظرية التأثير والاتصال، ضمن مجلة فصول، القاهرة، المجلد الخامس، العدد الأول، أكتوبر، نوفمبر ، ص101-104 وتحديدا الصفحة 103